

## نفحات القرآن

[203] إنَّ اِهْمِيَةَ مَوْضُوعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بَلَغَتْ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُقَسَّمُ الْقُرْآنُ بِهِمَا فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ بَيْنِهَا مَا يَقُولُهُ فِي الْقِسْمِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى). وَوَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَكَانٍ ثَانٍ وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ فَيَقُولُ: (وَاللَّيْلُ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ) (1). وَيَقُولُ فِي مَكَانٍ آخَرَ: (وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّ عَسَّ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) (2). وَيُضِيفُ فِي مَكَانٍ آخَرَ: (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى) (3). \* \* \* وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ وَالْآخِرَةَ نَوَاحِي تَعْبِيرًا جَدِيدًا فِي هَذَا الْمَجَالِ إِذْ يَقُولُ: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّيْلَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ). (يُؤَلِّجُ) مِنْ مَادَّةِ "أَيْلَجَ" وَتَعْنِي الْإِدْخَالَ، وَبِمَا أَنَّهَا جَاءَتْ بِصِيغَةِ "الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ" وَحَيْثُ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ يَفِيدُ الْاسْتِمْرَارَ، فَقَدْ تَكُونُ إِشَارَةً إِلَى طَوْلِ وَقْصَرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ التَّدْرِيجِيِّ وَالْمَنْظَمِ عَلَى مَدَى فُصُولِ السَّنَةِ الْمُخْتَلِفَةِ حَيْثُ يَنْقُصُ أَحَدُهُمَا وَيُضَافُ إِلَى الْآخَرِ، فَهَذَا النِّظَامُ التَّدْرِيجِيُّ عَامِلٌ مُؤَثِّرٌ فِي نَمُو النَّبَاتَاتِ وَتَكَامُلِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، فَلَوْ حَدَثَ فَجْأَةً سَيَخْتَلُ تَوَازُنُ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ فَيَكُونُ مَضْرَابًا، لِهَذَا فَقَدْ جَعَلَهُ الْبَارِي تَعَالَى أَمْرًا تَدْرِيجِيًّا. وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَسْأَلَةِ شُرُوقِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ، لِأَنَّ الشَّمْسَ حِينَهَا تَقْتَرِبُ مِنَ الشَّرُوقِ يَشَعُّ نُورُهَا نَحْوَ الطَّرْفِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَوِّ، وَيُضِيءُ الْجَوَّ \_\_\_\_\_ (1) (الْمُدَّثِرُ الْآيَةَ: 33). (2) (التَّكْوِينُ الْآيَةَ: 17). (3) (الضُّحَى الْآيَةَ: 2 و1).